المحاضرة السادسة: ايجاد فكرة التحقيق

التحدي الأول الذي يواجه الصحفي الاستقصائي، هو العثور على فكرة استقصائية يمكن من خلالها تحقيق كشف يهم الجمهور، ويساهم في تصحيح الاوضاع الخاطئة، فمن دون كشف ما هو جديد، ليست هناك صحافة استقصائية. وبرغم ان الكثير من القضايا التي تحيط بنا هي قضايا يمكن للصحافة عموما أن تتحراها وتكتب عنها باستمرار، لكن بالتأكيد ليست كلها قضايا تصلح ان تكون محل اهتمام الصحافة الاستقصائية، فهي تختص فقط بتقديم حقائق جديدة يحاول شخص ما أو جهة ما اخفاءها عن الجمهور.

واللافت أن الكثير من الصحفيين يفسرون هذا المبدأ الاستقصائي بشكل خاطئ، فهم يعتقدون أن القصص الاستقصائية يجب أن تكون غاية في الخطورة لكي تكون مهمة، وبعضهم قد يرسم صورة مثيرة للطريقة التي يحصل من خلالها على قصته الاستقصائية، كأن يتلقى مكالمة هاتفية من مجهول يكشف له اسرارا خطيرة تطيح بمسؤولين كبار، أو يعثر بالمصادفة على وثائق سرية تؤدي الى إسقاط حكومات.

لكن من الناحية العملية، فان أغلب القصص الاستقصائية المهمة التي اشتغل عليها صحفيون كبار وحققت تأثيرا مهما في مجتمعاتهم، لم تكن نتاج مكالمة هاتفية من مجهول أو حقيبة مملوءة بالأوراق السرية، بل كانت نتاج فكرة تولدت لديهم بعد تجربة شخصية مروا بها، أو معلومات عابرة سمعوها بالمصادفة من اشخاص عاديين، أو حادثة قرأوا عنها في صحيفة محلية واثارت لديهم الكثير من الاسئلة.

من أين نحصل على فكرة القصة؟

أفكار القصص الاستقصائية تكمن عادة، في الاحداث المتسارعة والمعلومات التي يتلقاها الصحفي الاستقصائي باستمرار من محيطه، ففي كل المجتمعات، هناك دائما أخطاء ترتكب من دون أن يسلط عليها الضوء، أو يتعرض من يرتكبها الى المحاسبة، ولدى الصحفي باستمرار القدرة على معرفة هذه الاخطاء والعمل على تحريها ومعرفة المسؤولين عنها. وهنا، نورد أبرز الطرق التي يستطيع الصحفي الاستقصائي غالبا أن يحصل من خلالها على افكار لقصص ناجحة ومؤثرة، وهي:

(١) التجربة الشخصية

يحصل الصحفي الاستقصائي على افكار جيدة لقصصه، اذا تمكن من مراقبة وتفحص الاشياء من حوله بدقة وفراسة، ولهذا من المفيد جدا أن يبقي الصحفي عينيه مفتوحتين ولا يغفل عن رؤية الاحداث المتسارعة من حوله، فقد يتمكن من العثور على فكرة لتحقيق استقصائي وهو يقف في طابور طويل داخل مكتب الجوازات، وقد يلفت انتباهه غياب النظافة في ردهات مستشفى عام ويقوده هذا الى كتابة قصة ناجحة حول رداءة الخدمات الطبية المقدمة للمواطنين، وقد تدفعه رؤية العشرات من الاشجار الميتة في الحدائق العامة الى تقصي حجم الاهمال الحكومي المتنزهات العاصمة.

التجربة الشخصية والملاحظة المباشرة تكون في أحيان كثيرة هي المفتاح الاهم في العثور على فكرة التحقيق الاستقصائي واذا ما برع الصحفي في مراقبة كل ما يحيط به من احداث يومية وامكنة وتطورات تجري في مجتمعه، فأنه بالتأكيد سيحصل على الكثير من القصص الاستقصائية المثيرة.

(٢) المجتمع كمصدر للأفكار

يمكن للمعارف والأهل والأصدقاء والناس العاديين أن يكونوا ملاحظين جيدين، وقدرة الصحفي الاستقصائي على التعامل مع الاشخاص الذين يحيطون به وتحري ما يملكونه من معلومات تساعده في أحيان كثيرة على ايجاد افكار لقصصه، فالأشخاص الذين نعرفهم في حياتنا العادية موجودون عادة في الكثير من الامكنة ومجالات العمل، وكثيرا ما تتاح لهم فرصة الاطلاع على معلومات مهمة، أو ملاحظة الكثير من الاخطاء التي ترتكب.

وقد تكون الافكار والمعلومات التي يطرحها الناس من حولنا، متحيزة، أو مبالغا بها أو غير مكتملة، لكنها في النهاية افكار يمكن التحقق منها ومعرفة فيما اذا كانت تصلح أن تكون نقطة انطلاق ناجحة لقصة استقصائية، أم لا.

وفي كل المجتمعات البشرية، هناك الكثير من المعلومات التي يتداولها الناس يوميا، لأن الناس العاديين بطبيعتهم يتحدثون عن كل شيء تقريبا، وغالبا ما يهتمون بانتقاد الاوضاع القائمة واتهام السلطات بالتقصير أو الاهمال أو الفساد لأنهم يعانون مباشرة سوء هذه الاوضاع ويدفعون ثمن الاخطاء المرتكبة.

والآراء والمعلومات من هذا النوع تنتشر بكثرة في كل مكان يذهب اليه الصحفي تقريبا، فهو قد يحصل على المعلومات والافكار من خلال تجواله في الاسواق العامة، أو في ممرات الدوائر الحكومية او صالونات الحلاقة أو طوابير اصدار اجازات السوق، وربما في اروقة الجامعات أو من خلال سائق سيارة الاجرة الذي يتلقى يوميا معلومات متنوعة من الموظفين والتجار والناس العاديين الذين يقلهم، وأحيانا قد يحصل الصحفي على المعلومات والافكار من الباعة الجوالين ، أو حتى من خلال حديث عابر يتبادله الجالسون حول طاولة مجاورة لطاولته في مطعم شعبي " .

كل الامكنة التي تحيط بالصحفي الاستقصائي تصلح أن تكون مكانا مناسبا للعثور على فكرة التحقيق، والكثير من المعلومات التي نتلقاها من محيطنا قد تكون فرصة لتوليد فكرة استقصائية ناجحة، ولا يعني هذا بطبيعة الحال أن يأخذ الصحفي كل ما يسمعه من معلومات على محمل الجد ويسعى للتحقق منها، فهذا لن يكون متاحا له حتى لو حاول، لكن ضمن

هذا الكم الهائل من المعلومات التي تتلقاها من محيطنا يوميا، هناك دائما ما يستحق ان ينتبه اليه الصحفي الاستقصائي ويبدأ بالتحقق منه قبل الشروع بإيجاد وصياغة فكرة تحقيقه الاستقصائي.

(٣) وسائل الاعلام

مراقبة ما تنشره وسائل الاعلام هي واحدة من الطرق الناجحة جدا للحصول على افكار للتحقيقات الاستقصائية، فهناك الكثير من الحوادث والتطورات التي تنقلها الصحف والقنوات الفضائية من دون أن تقدم كل المعلومات عنها، فغالبا، وتحت ضغط المنافسة وتحقيق السبق الصحفي، تعمد غالبية وسائل الاعلام الى نشر ما يتوفر لديها من معلومات والانتقال الى مواضيع واحداث أخرى.

البحث عن المعلومات التي لم توردها وسائل الاعلام، ومحاولة التعرف على الكيفية التي وقعت فيها الاحداث، ومن هم المتسببون بها؟ ولماذا الان؟، وما هي تداعيات هذه الاحداث على الناس؟، هي اسئلة مهمة

تقود الصحفي في معظم الاحيان الى اكتشاف زاوية جديدة للاحداث يمكنه تطويرها والعمل على تقصيها بشكل أعمق بكثير من الطريقة التي نشرت فيها.

ووسائل الاعلام المحلية عادة تزخر بالمواضيع والاحداث التي تصلح أن تكون بذورا صالحة لقصص جيدة، فهناك دائما اخبار عن احالة مشاريع لبناء مساكن عامة أو اغلاق صيدليات خاصة أو اضرابات للعمال أو إيقاف سقوط جانب من جسر للمرور السريع أو عمليات القاء قبض على مسؤولين حكوميين او مدراء مصارف أو شركات أو هروب مسؤول عن العقود في احدى الدوائر الرسمية الى خارج البلاد.

اخبار من هذا النوع تنتهي غالبا عند الحدث نفسه، فوسائل الاعلام قد لا تورد ما الذي حدث بعد سقوط جانب الجسر، كيف بررت الحكومة أو الشركة المنفذة هذا الحادث، وما الذي سيفعلونه للتأكد من عدم تعرض جسور اخرى للحدث نفسه، هل الامر يرتبط بملف فساد أم أنه نتيجة طبيعية لاهمال صيانة الجسر من قبل المؤسسات المعنية؟

والأمر نفسه ينطبق على حادثة اعتقال مدير مصرف أهلي، فربما يقود التحري عن القضية الى اكتشاف الصحفي الاستقصائي لقضية غسيل أموال، صرف قروض غير قانونية، وربما لصلته بجماعة محظورة، كما يمكن أن يكون هروب مسؤول الى خارج البلاد تهربا من استجوابه من قبل هيئة النزاهة على خلفية استبعاد شركات رصينة مقابل منح المشاريع الشركات غير كفوءة أو مملوكة من قبل أحد اقاربه، وقد يكون ما أشيع على أنه «هروب، هو مجرد سفرة للعلاج أو أيفاد حكومي مؤقت.

وكما أسلفنا التفكير في ما وراء الاحداث التي تنقلها وسائل الاعلام، سيكون مفتاحا ناجحا لتوليد قصص استقصائية مميزة، فالكثير من التحقيقات المهمة التي انجزت في العراق والعالم العربي ومختلف بلدان العالم، كانت نتاج متابعات أجراها صحفيون نشيطون لقضايا طرحتها وسائل الاعلام ولم تقدم لها كل الاجابات اللازمة.

مثال ذلك، دفعت الاخبار التي كانت تنشر في صحف إقليم كردستان عن اتلاف اطنان من الأدوية الفاسدة والصحفي موفق محمد الى تعقب هذه الظاهرة والكشف عن ان مئات الاطنان من الادوية المزيفة ورديئة المنشأ تدخل شهريا الى اقليم كردستان سواء عن طريق التهريب أو بسبب ضعف اجراءات الرقابة الحكومية ٦٣. فيما كانت الاخبار التي نشرت حول اعتقال مجموعات من الاطفال المنتمين لتنظيم طيور الجنة التابع للقاعدة، سببا في تعقب الصحفية ميادة داود للكيفية التي كان يعتمدها تنظيم القاعدة لتجنيد مئات الاطفال سنوياً لتنفيذ عمليات قتل وتفجير عبوات ناسفة أو مراقبة اهداف أمنية لصالح التنظيم.

(٤) الوثائق والبيانات الحكومية

تبدو التقارير الرسمية وبيانات المنظمات غير الحكومية عادة مملة وغير مشوقة، والعديد من الصحفيين يعمدون الى مراجعتها بحثا عن خبر روتيني مختصر يمكن نشره في وسائل الاعلام التي يعملون فيها، ونادرا ما يخطر على بالهم ان هذه البيانات قد تكون مصدرا مهما لقصص استقصائية مميزة.

تابع الصحفي العراقي باسم فرنسيس، العشرات من التقارير الخاصة بارتفاع معدلات هجرة المسيحيين العراقيين الى خارج البلاد، وخلال تحريه عن اسباب هذه الظاهرة توصل الى ان العنف وصعود

التيارات المتشددة لم يكونا لوحدهما سببا في ارتفاع معدلات الهجرة، بل كانت الاوضاع الاقتصادية وغياب التوافق الثقافي في المدن الكردستانية التي نزحوا اليها واليأس من تحسن الاوضاع في المستقبل، هي الاسباب الأكثر تأثيرا في اتخاذ الاف الشباب والعوائل المسيحية قرار الهجرة الى الخارج ...

(٥) الانترنت

متابعة الانترنت بشكل دوري، والاطلاع على ما تورده المواقع الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي من معلومات، تمنح الصحفي الاستقصائي فرصة كبيرة للاطلاع على ما يدور حوله من احداث وتطورات، فعبر شبكة الانترنت ليس هناك حدود تمنع الصحفي من التوغل أكثر وأكثر في القضايا التي تشغل المجتمع والتعرف على تفاصيل كل قضية يريد متابعها او يحاول فهم تفاصيلها.

(٦) الافادة من المعلومات العامة

من المفيد أن يقوم الصحفي الاستقصائي بشكل دوري، بعملية فحص ومتابعة للمعلومات العامة في مجتمعه أو المتغيرات التي يسمع بها، فعند تشكيل حكومة جديدة مثلا، يمكن له أن يتحقق من ماضي الاعضاء الجدد في الحكومة لمعرفة ان كان هذا الماضي سيؤثر سلبا في الخدمة العامة التي يؤدونها أم لا، والأمر نفسه ينطبق في حال تشكيل مجلس نواب جديد أو تعيين اشخاص لوظائف حكومية رفيعة او رئاسة مؤسسات عامة أو خاصة.

فحص المعلومات بهذه الطريقة، قد يتيح للصحفي الاستقصائي أن يجد في ماضي هؤلاء تعليمهم المناصب التي تسنموها سابقا، طريقتهم في التعامل مع الملفات السياسية أو الاقتصادية في البلد، ما يمكن أن يكشف طبيعة الاداء الذي سيقدمونه والطريقة التي سيديرون بها عملهم الحكومي الجديد.

وفي حال تأسست مجالس ادارات جديدة للمؤسسات الحكومية او غير الحكومية، يمكن ان يكون البحث في العلاقة التي تربط الاعضاء البارزين فيها مع شخصيات حكومية نافذة، بداية لاكتشاف قصة جيدة، فاذا عرفنا مثلا أن مسؤولا كبيرا في وزارة الزراعة انضم الى مجلس ادارة شركة لتسويق الحبوب، أو أن وزير الطاقة والموارد الطبيعية يمتلك شركة كبيرة لتسويق النفط والوقود، فعلى الصحفي الاستقصائي ان يسأل هل هذا قانوني؟ ولو كان مسموحا به من الناحية القانونية، أليس هناك تضارب في المصالح قد يقود الى علاقة غير نزيهة، هنا، قد يكون اكتشاف هذه الأنواع من الروابط مصدرا مهما لقصص ناجحة ".

وفي حال تأسست مجالس ادارات جديدة للمؤسسات الحكومية او غير الحكومية، يمكن ان يكون البحث في العلاقة التي تربط الاعضاء البارزين فيها مع شخصيات حكومية نافذة، بداية لاكتشاف قصة جيدة، فاذا عرفنا مثلا أن مسؤولا كبيرا في وزارة الزراعة انضم الى مجلس ادارة شركة لتسويق الحبوب، أو أن وزير الطاقة والموارد الطبيعية يمتلك شركة كبيرة لتسويق النفط والوقود، فعلى الصحفي الاستقصائي ان يسأل هل هذا قانوني؟ ولو كان مسموحا به من الناحية القانونية، أليس هناك تضارب في المصالح قد يقود الى علاقة غير نزيهة، هنا، قد يكون اكتشاف هذه الأنواع من الروابط مصدرا مهما لقصص ناجحة.